برنامج [الكتاب الناطق] - الحلقة 69

قوانين الطي والنشر ج 6

الاثنين: 2016/6/13م ــ 7 شهر رمضان 1437

✤ مرّ علينا في الحلقة الماضية ما أشرتُ إليه وما ذكرته من عبائر فاضت بها الناحية المقدسة، فقالت والخطاب من إمام زماننا عليه السلام لجدّه الحسين :

(وللطغيان قامعا، وللطغاة مُقارعا، وللأُمّة ناصحا، وفي غمرات الموت سابحا، وللفسّاق مُكافحا ..) إلى أن تقول الزيارة : (فجاهدتهم بعد الإيعاز لهم، وتأكيد الحُجّة عليهم، فنكثوا ذمامك وبيعتك، وأسخطوا ربّك وجدّك، وبدؤوك بالحرب، فثبتَّ للطعن والضرب، وطحنتَ جنود الفجّار، واقتحمتَ قسطل الغُبار، مُجالداً بذي الفقار، كأنّك علي المختار..)

وقلتُ بأنّ ما جاء في ميمية السيد جعفر وهي معاني حسينية رائعة، ولكنّها لو قيستْ بالمضامين التي عبّرت عنها زيارة الناحيّة المقدّسة لكانتْ لا قيمة لها . (وقفة عند بعض أبيات ميمية السيد جعفر الحلّي لمقارنة بعض ما ورد فيها من معاني بالمعاني التي وردت في كلمات إمام زماننا عليه السلام في زيارة الناحية المقدّسة، ولأيّ شيء كانت المعاني في قصيدة السيد جعفر الحلّي لا معنى لها إذا ما قيست بالمعاني الواردة في كلمات إمام زماننا في زيارة الناحية المقدسة؟).

✤ المقطع الحسيني له خصوصية تختلف عن يوم عاشوراء من أوّله إلى بداية المقطع الحسيني الخاص بالحسين عليه السلام.

● عاشوراء من الفجر إلى الزوال كان الوقت يجري فيها بحالته الطبيعية، وكانت الحركة على تلك الأرض وفي ذلك المكان بشكل طبيعي، لأنّ المعركة اشتدّت واشتدّت بعد صلاة سيّد الشهداء (من هنا بدأ الوقت يختلف). وإنّما بدأ الوقت يختلف لأنّ عاشوراء دخلت في حالة جديدة، دخلت في حالة نشر الزمان ونشر المكان، وطيّ القدرة، وطيّ الألم !

● أبو عبدالله عليه السلام قبل الزوال لم يكن قد دخل المعركة كما دخلها بعد الزوال، ولذلك أنا حسبت لكم الوقت من الزوال وأنتم شاهدتم، ووفقاً لروايات المخالفين .. واختصرتُ الأحداث اختصاراً، وألغيت الكثير من التفاصيل .. وكان الوقت طويلاً، وطويلاً جدّاً !!

فكيف أستطيع أن أرسم صورة حقيقية وفقاً للتفاصيل التي جاءت في زيارة الناحية المقدّسة ؟ والمتحدّث في الزيارة هو صاحب الأمر، الذي يتحدّث عنه هو سيّد الشهداء عليهما السلام؟!

✤ حين يقول الإمام عليه السلام (وطحنت جنود الفجّار) هناك احتمالان:

الأوّل : أنه طحنهم جميعاً .. ولكن هذا لم يحدث فقد بقيتْ بقيّتهم.

الثاني : أنّ المراد هو أنّه طحن أكثرهم. (فكم يحتاج ذلك من الوقت؟).

✤ قول الإمام عليه السلام (فلمّا رأوك ثابت الجاش، غير خائف ولا خاش، نصبوا لك غوائل مكرهم، وقاتلوك بكيدهم وشرهم..).

هذا الذي جرى لا نعرفُ تفاصيله ..! ولكن هناك غوائل وهناك مكر.

القوم يعملون بنفس ذهنيّة شياطين المكر والدهاء (بذهنية معاوية، وذهنية عمرو بن العاص، وذهنية سرجون النصراني مستشار معاوية، بذهنية زياد بن أبيه)!!

● الغوائل : هي الخديعة والكمائن والمصائد والخدع!

✤ قد يقول قائل : أنّهم قاتلوا سيّد الشهداء بنفس الأساليب المذكورة في كُتب المقاتل .. وأقول: أنّ كتب المقاتل وكتب التأريخ ما ذكرت لنا تفاصيل الأحداث .. على سبيل المثال :

● لم أجد في مصدر من المصادر هذا المعنى الذي ذكرته زيارة الناحية المقدسة (حتّى نكسوك عن جوادك، فهويتَ إلى الأرض جريحا، تطؤكَ الخيول بحوافرها، وتعلوك الطغاة ببواترها) فهذا كلّه حدث والإمام عليه السلام لم يُقطع رأسه، بل حدث معه في حياته، حدث له والجواد لم يذهب بعد إلى الخيام !

● الزوال مقطع زماني شاخص ومُشخّص.

● خروج عليّ الأكبر للميدان مقطع آخر مُشخّص.

● خروج العبّاس صلوات الله عليه مقطع آخر مشخّص.

● الوداع الأوّل (وداع سيّد الشهداء للعائلة) مقطع مُشخّص.

● الوداع الثاني مُشخّص.

● رجوع الجواد إلى الخيام مقطع مشخّص.

هذه نماذج من الأمثلة الشاخصة والمُشخصّة.. وهناك نماذج أخرى كقتل الرضيع، وقتل عبدالله بن الحسن على صدر سيّد الشهداء، والهجوم على سيّد الشهداء قبل قطع رأسه الشريف .. هذه مقاطع مُشخّصة.. ولكن هناك من وقائع وأحداث يوم عاشوراء أحداث أشارت لها زيارة الناحية المقدّسة وهي غير مُشخّصة في كتب التأريخ !

✤ بقي سيّد الشهداء عليه السلام على قيد الحياة إلى آخر لحظة من قطع رأسه الشريف كما تقول الزيارة (ذابح لك بمهنده، قد سكنت حواسك، وخفيت أنفاسك)

الزيارة لم تقل : ماتتْ حواسك .. بل قالت سكنتْ حواسك (أي سكنتَ عن الحركة) ولم تقل انقطعتْ أنفاسك بل قالتْ خفيتْ .. وهذا يُشير إلى أنّ سيّد الشهداء عليه السلام إلى آخر لحظة كان على قيد الحياة، وعملية الذبح تمّت وسيّد الشهداء على قيد الحياة.

✤ قول الإمام عليه السلام (تطؤك الخيول بحوافرها وتعلوك الطغاة ببواترها)

يعني والإمام عليه السلام في حال جراحاته كانت الخيول تطؤه بحوافرها .. (أين جاء هذا مذكوراً في كتب المقاتل)؟

● حتّى الذين حضروا المعركة ما استطاعوا جميعهم أن يروا كلّ التفاصيل، وإنّما كل واحد منهم رأى شيئاً لكثرة الزحام وكثرة الناس وشدّة الغبار ولهيبة الموقف وجلالة المشهد، وللرعب الذي دخل في وسط المعركة منذ المشهد العباسي.

✤ زيارة الناحية برغم أنّها جاء بصورة مُقتضبة وموجزة إلّا أنّها أشارت إشارات لا نرى لها من أثر ولا من عين في كُتب التأريخ ! نعم كتب المقاتل تحدّثت عن آلاف من الجراحات .. ومع ذلك أقول هذا المذكور في كتب المقاتل قليل ؛ لأنّ القوم أعدادهم كثيرة جدّاً !

● قد يقول قائل : أنّ البدن البشري محدود .. فكيف يُمكن أن تكون في بدن سيّد الشهداء ألفا جراحة ؟! – كما ورد في بعض كتب المقاتل

وأقول: صحيح .. ولكن جراحات الحسين عليهم السلام كانت الجراحة فوق الجراحة .. وجراحة في باطن جراحة .. ولذا تُخاطبه الزيارة وتقول : (السلام على المغسّل بدم الجراح)، الزّيارة قالت (مغسّل) وليس (مغسولاً) فالمغسول يكون مرّة واحدة.. أمّا (المغسّل) يعني غُسّل بالدماء عدّة مرات!!

يعني نزفت الدماء مِن كل جزء من أجزاء بدنه الشريف فغسّلته أكثر من مرّة بالدماء !! وهوى إلى الأرض بتلك الجراحات، وجاءت إليه الخيول تطؤه بحوافرها، وهو بعد لم يُقطع رأسه !!

✤ قول الإمام عليه السلام (وأثخنوك بالجراح، وحالوا بينك وبين الرواح) جميع تلك الألوف المؤلّفة حالت بين سيّد الشهداء وبين الرواح .. وهذه التفاصيل لا تقع في ساعة أو ساعتين .. ومن هنا قلت بأنّ عاشوراء لها خصوصياتها، لأنّ الحسين هنا طُويتْ فيه القدرة .. وإلّا فأيّ بدن بشري يتحمّل كلّ هذا ؟ هذهِ قضايا خارجة عن التصوّر الاعتيادي ؟

✤ بعد رفع رأس سيّد الشهداء تدخل عاشوراء في المشهد السجادي الزينبي .. وجزء من المشهد السجادي الزينبي تأتي عملية الدفن (وهنا يتجلّى قانون طيّ الزمان والمكان).

✤ في مسيرة السبايا (مشهد الأربعين) هنا يتجلّى قانون (نشر الزمان، وطيّ المكان).

كما تصف الروايات أنصار الإمام لحجّة الممهدين (أنّهم يطوون المنازل طيّاً حثيثاً) [وقفة لتوضيح هذه النقطة].

✤ معراج النبي "صلّى الله عليه وآله " هو طيّ للزمان والمكان وخروج عن قواعد الزمان والمكان . (وأنا أتحدّث هنا عن المعراج المحمّدي المعروف، وإلّا فإنّ معارج محمّد وآل محمّد كثيرة جدّاً)

فهناك إسراء إلى بيت المقدس، وهناك عروج إلى عوالم القدس .. وكلّ ذلك تمّ في وقت محدود جدّاً (والتفاصيل واضحة في الروايات)!

✤ وقفة عند رواية الإمام الصادق عليه السلام في [بحار الأنوار : ج18] والتي يتحدّث فيها عن صورة جزئية من معراج نبيّنا صلّى الله عليه وآله .. وأنّ المعراج هو لون من ألوان اختراق الزمان والمكان، وارتباط ذلك بقوانين الطيّ والنشر.

✤ النبي صلّى الله عليه وآله رجع من رحلة المعراج، وأخبر مَن أخبر في مكّة أنّه أُسري به وعُرج به، فكذّبوه، وطلبوا منه أدلّة.. فمن جملة الأشياء التي ذكرها لهم هو أنّ عير قُريش ستأتي صباحاً من جهة العقبة عند طلوع الشمس يسبقهم جمل أورق.. ورغم أنّ النبي صلّى الله عليه وآله يعلم الغَيب، إلّا أنّ هذا الإخبار عن عير قريش لم يكن إخباراً غيبياً وإنّما هو إخبار عن جزء من رحلة المعراج .. إخبار عن رؤيا يتساوى فيها الماضي والحاضر والمستقبل. ففي رحلة المعراج يتلاشى الماضي والحاضر والمستقبل .. (هذا هو طيّ الزمان والمكان والخروج عن حدود المكان والزمان)

✤ هذه الصورة الجزئية التي نقلها الإمام الصادق عليه السلام من معراج النبي تُمثّل تطبيق عملي لنسبية انشتاين (نسبية الزمان والمكان حين يتلاشى الماضي والحاضر والمستقبل فيتحوّل إلى نقطة واحدة .. ولكن الإنسان بحركته هو الذي يُقسّم الزمان)

● النسبية في الزمان والمكان موجودة في قوانين الطي والنشر ونحن نعيشها، وما نظرية انشتاين إلّا قراءة بعمق ونبوغ وذكاء بوسائل الفيزياء والرياضيات لهذا الواقع.

✤ وقفة عند مقتطفات من حديث المعرفة بالنورانية لسيّد الأوصياء

(لو شئنا خرقنا السماوات والأرض والجنّة والنار ونعرج به – أي بالإسم الأعظم - السماء ونهبط به الأرض ونغرّب ونشرّق وننتهي به إلى العرش) هنا الحسين ينشر الزمان في كربلاء.

✤ هذه المعاني التي تحدّثت عنها زيارة الناحية المقدّسة لا نستطيع أن نتصوّرها بكل هذه التفاصيل التي تحتاج إلى مكان أكبر من مكان الواقعة التأريخي .. فلابُدّ من نشر المكان وتحتاج إلى زمان أطول من الزمان المحسوب بالحساب الاعتيادي – وفقاً للمنطق الترابي – فنحتاج معها إلى نشر الزمان أيضاً.

✤ قد يقول قائل : هل كان القوم يشعرون بهذا النشر للزمان والمكان ؟ لماذا لم يُحدّثنا التأريخ بهذه العجائب ؟

وأقول : أنّه مرّ علينا في التأريخ أمثلة وصور اشتملت على قوانين نشر الزمان والمكان، مثال ذلك (طوفان نوح) فنحن لا نعرف شيئاً عن تفاصيله مع أنّ الحدث تحدّثت عنه كلّ الديانات !

● أيضاً لا نعرف الشيء الكثير عن الإشارات والرموز التي وردت في آيات النبي موسى وعن العبور وتفاصيل العبور.

● أيضاً .. عقيلة بني هاشم عليها السلام قالت في خطبتها (أوعجبتم أن مطرت السماء دماً) ؟ مَن الذي تحدّث عن هذه الحقيقة ؟ المراجع بحسب قذارات علم الرجال الناصبي يقولون أنّها رواية ضعيفة!!

● أيضاً الروايات تُحدّثنا أنّه في مقتل سيّد الأوصياء ما رُفع حجر إلّا وجد تحته دم عبيط .. وقد أخفى الأمويّون هذه القضيّة بكلّ ما أُوتوه من قوّة!!

● أيضاً المجريات الكونيّة التي حدثت بعد ولادة النبي الأعظم أين هي ؟ توجد فقط آثار بسيطة موجودة في الكتب!

● مثال عملي من أحاديث أهل البيت عليهم السلام (قصّة إبراهيم ورميه في النار) في روايات العترة (قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم) أنّ النار لم تعمل في الدنيا كلّها لثلاثة أيّام !! فهل حدّثنا التأريخ عن ذلك؟

● سورة المائدة والحديث عن بني إسرائيل قوله تعالى (قال فإنّها مُحرّمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض)، يقول الإمام الصادق عليه السلام (كانوا يتيهون في نحوٍ من أربع فراسخ) 40 سنة يتيهون في مساحة مقدارها 4 فراسخ (20 كم) !!! (فهناك نشر مكان، ونشر زمان). والحوادث التي جرت في ذلك الزمان، وفي تلك الأمم تجري في هذه الأمّة. علماً أنّ هارون وموسى كانوا يعلمون ويشعرون بهذا النشر للزمان والمكان.. أمّا بنوا اسرائيل لم يكونوا يشعرون بذلك ! فلو كانوا يشعرون لاحتجّوا واعترضوا..

✤ قول الإمام عليه السلام في زيارة الناحية (ناجزوك القتال) أي أسرعوا لقتالك، ولم يُعطوك مجالاً للراحة. (وعاجلوك النزال) أي عاجلوك البِراز إمّا مجموعات أو أفراد .. وهذا خلاف قواعد الحرب!

ولكن كلّ شيء في عاشوراء كان مختلف!!

✤ قول الإمام عليه السلام (وبسطوا إليك أكفّ الاصطلام) يعني القضاء على الشيء من جذره وأساسه بكلّ أساليب القوّة!

✤ قول الإمام الباقر عليه السلام (لولا أننا نخاف على شيعتنا من الموت، لحدّثناهم بما جرى في كربلاء).

✤ قول الإمام عليه السلام (وأنت مقدّم في الهبوات، محتمل للأذيات) الهبوات هي المحن والمصائب،

وقوله (محتمل للأذيات) الأذى الذي وقع على سيّد الشهداء لا حدود له.. فهو ذاك الأذى الذي وصفه خاتم الأنبياء وقال (ما أُوذي نبي مثلما أُوذيت)!

✤ قول الإمام عليه السلام (قد عجبتْ من صبرك ملائكة السماوات) نحن نتحدّث عن حَمَلة العرش – وعن زبانية جهنّم، هؤلاء على عظمتهم وعظمة خلقتهم وقدراتهم التي تحدّث عنها أهل البيت عليهم السلام عجبوا من صبر سيّد الشهداء عليه السلام !! فأيّ شيء هذا الذي وقع على الحسين فعجبت من صبره ملائكة السماوات ؟!

✤ ألم الحسين ليس في الجراحات .. ألم الحسين في العطش ! لأنّ العطش الذي عطشه الحسين عليه السلام هو في مرحلة (نشر الزمان والمكان) . حينما يدخل الواقع في مثل هذا القانون، فإنّ الولي هو الذي يشعر بثقل هذا القانون .. لأن طاقة الحدث مأخوذة منه !

✤ إذا أردتم أن تبحوا عن ألم الحسين .. (ابحثوا عن ألم الحسين في دعاء الندبة، في زيارة الناحية المقدّسة، في دعاء الحسين يوم عرفة) لأنّه في دعاء يوم عرفة تحدّث عن أعضائه التي قدّمها قُرباناً .. إذ يقول في دعاء عرفة :

(وأنا أشهد يا إلهي بحقيقة إيماني، وعقد عزمات يقيني، وخالص صريح توحيدي، وباطن مكنون ضميري، وعلائق مَجاري نور بصري، وأسارير صفحة جبيني، وخُرْق مسارب نَفَسي، وخذاريف مارن عرنيني، ومسارب صماخ سمعي، وما ضُمَّتْ وأطبقتْ عليه شفتاي، وحركات لفظ لساني، ومغرز حنك فمي وفكّي، ومنابت أضراسي، وبُلوغ حبائل بارع عنقي، ومساغ مطعمي ومشربي، وحمالة أم رأسي، وبلوع فارغ حبائل عنقي، وما اشتمل عليه تامور صدري، وحمائل حبل وتيني، ونياط حجاب قلبي وأفلاذ حواشي كبدي، وماحوته شراسيف أضلاعي، وحِقاق مفاصلي، وقبض عواملي، وأطراف أناملي، ولحمي ودمي وشعري وبشري وعصبي وقصبي وعظامي ومخّي وعروقي وجميع جوارحي وما انتسج على ذلك أيام رضاعي وما أقلّت الأرض منّي ونومي ويقظتي وسكوني وحركات ركوعي وسجودي، أن لو حاولتُ واجتهدتُ مدى الأعصار والأحقاب لو عُمّرتها أن أُؤدي شكر واحدة من أنعمك ما استطعت ذلك إلّا بمّنك المُوجب عليّ به شكرك أبداً جديداً وثناء طارفاً عتيدا ! أجل، ولو حرصتُ أنا والعادون مِن أنامك أن نُحصي مدى إنعامك سالفه وآنفه ما حصرناه عددا ولا أحصيناه أمدا. هيهات أنّى ذلك وأنت المُخبر في كتابك الناطق والنبأ الصادق : وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها..)

● عبودية الحسين كانت أن شكر الله بكلّ أعضائه، وكان الشكر بذلك الصبر.. وذلك الألم (كهيعص)

العين : عطش الحسين .. الصاد : صبر الحسين

✤ ختام الحلقة رواية باقر العلوم عليه السلام والّتي يتحدّث فيها عليه السّلام عن قتل سيّد الشّهداء، يقول:

(ولقد قتلوه قِتلةً نهى رسول الله صلّى الله عليه وآله أن يُقتل بها الكلاب، لقد قُتل بالسّيف، والسّنان، وبالحجارة، وبالخشب، وبالعصا، ولقد أوطأوه الخيل بعد ذلك)